جامعة باجي مختار - عنابة -
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم الفلسفة

المستوى: السنة الثانية ماستر، فلسفة تطبيقية

الأستاذ: محمد مينار

محاضرات في مقياس: الفن و الجماليات المعاصرة

- توطئة:

درج الباحثون في ميدان الفن وعلم الجمال على دراستهما بطريقتين: شكلية، ظاهرية، تاريخية؛ بتتبع نشأتهما وبروزهما في سائر الحضارات، وأخرى ضمنية، معرفية؛ وذلك بإبراز أبعادهما المفهومية وتتبع أنساقها المعرفية و أسسها المنهجية، و كذا دراسة حقيقة العلاقة بين الفن وعلم الجمال.

أما فيما يخص الفن والجماليات المعاصرة، فإننا نستأنس غالبا بالطريقة العرضية في دراسة علم الجمال، الذي صار تحت مسمى**"الإستطيقا"**، وهو المصطلح الجديد الذي جاء به **بومجارتن**، حيث دشن به عهدا جديدا للدراسات المتعلقة بالفن و فلسفة الجمال.

تأسياسا على ما سبق، فإن هناك عددا من التساؤلات يمكن أن تطرح، من أهمها:

- ما السياق الفلسفي الذي برزت فيه جهود **بومجارتن** لإعادة تأسيس علم جمال جديد؟
- ما هي البواعث المعرفية التي دفعت **بومجارتن** إلى ضم القضايا المتعلقة بالفن والجماليات إلى حضيرة المباحث الفلسفية؟.
- ما حقيقة **الإسطيقا** العليا؟ وفيم تتمثل **الإسطيقا** السفلى؟.
- كيف تشكلت المنعطفات الجمالية المعاصرة؟.
- ما هو السياق الذي تشكّل ضمنه المنعرج الثقافي المعاصر للجمالية؟.

هذه التساؤلات تعبر عن جملة المحاور المُشكّلة لمضمون المحاضرات التالية:

- المحاضرة الأولى:

- المحور الأول: مقدمات معرفية و منهجية

01- مفهوم الجماليات المعاصرة:

نود من البداية الإشارة إلى الأهمية التي تشتمل عليها مسألة الوعي بمفهوم الجماليات المعاصرة؛ ذلك أن أهم إشكال تستهدفه **الإستطيقا** هو النظر في الخلاف الحاصل حول طبيعة الجميل؛ لهذا فليس من الصواب الاعتقاد بمطابقة علم الجمال للإستطيقا من ناحية المفهوم، فعلم الجمال في الحقيقة أوسع نطاقا من **الإستطيقا**.

ظهرت كلمة **الإستطيقا**(Acsthecs) لأول مرة في كتابات **ألكسندر بومجارتن** في كتابه: "تأملات في الشعر" الصادر سنة 1730م، بحيث عمل **بومجارتن** على لم شتات المسائل والقضايا المتعلقة بعلم الجمال بعدما كانت مبعثرة في عدد من العلوم الإنسانية والاجتماعية، جاعلا إياها في إطار مبحث جديد ألحقه بالفلسفة، معتبرا **الإستطيقا** مبحث جديد يُعنى باقتفاء معنى الجميل و لكن ضمن ما أسماه بعلم المعرفة الغامضة؛ متبعا في ذلك التقسيم الذي اتبعه أستاذه **وولف** حين قسم المعرفة قسمين: المعرفة العليا والمعرفة الدنيا، فالمعرفة الدنيا هي التي استقى منها **بومجارتن** فكرة **الإستطيقا**؛ بوصفها نظرية للأفكار الجميلة المستقاة من الشعر على سبيل المثال لا الحصر، وهنا ينبغي الوقوف على إحدى معاقد الطرافة في عبقرية **بومجارتن**؛ بحيث على الرغم من اعتباره من أتباع المذهب الديكارتي، غير أنه في الوقت نفسه لم يكن على قناعة تامة من أن الأفكار العقلية دائما تكون منطقية بالضرورة، فلغة الشعر تتضمن معرفة دنيا، تتصف بالجمال لأنها بسيطة بعيدة عن التجريد، و مع ذلك يمكن اعتبارها معرفة عقلية غير منطقية، إضافة إلى ذلك لا يمكن إغفال تأثير فلسفة **ليبنتز** على **بومجارتن** خصوصا فيما يتعلق بالحياة الوجدانية للإنسان، التي اعتبرها **ليبنتز** بمثابة الجزء الأسفل غير الواضح من عقل الإنسان، أو ما يمكن وصفه بمنطق الخيال.

من هذا المنظور فإنه مع ظهور **الإستطيقا** بهذا الوصف الجديد مع **بومجارتن**، تم الانتقال بمفهوم الجميل من طابعة التاريخي إلى الجميل بطابعة الاستطيقي، و إن شئت القول الانتقال من الجميل المتفق عليه إلى الجميل المختلف حوله.

وعليه يمكن اعتبار الجماليات المعاصرة في مجملها سعي إلى فهم المضمون الجمالي للظاهرة الفنية من منظور نقدي، وبمعنى أدق فإن **الإستطيقا** تروم أشكلة الموقف الجمالي، و الشكل الموالي يوضح أبعاد الموقف الاستطيقي.

لما كانت للمعرفة العليا علم يختص بدراستها وهو علم المنطق، فمن حق القوى الحسية المُشَكّلة للمعرفة الدنيا بحسب **بومجارتن** علم كذلك يختص بدراستها وهو ما اسماه بالإستطيقا بحيث تتناول بالدراسة منطق الشعور، فإذا كانت القوى العقلية العليا تهدف إلى الحقيقة، فإن القوى العقلية السفلى تهدف إلى معرفة حقيقة الجميل.

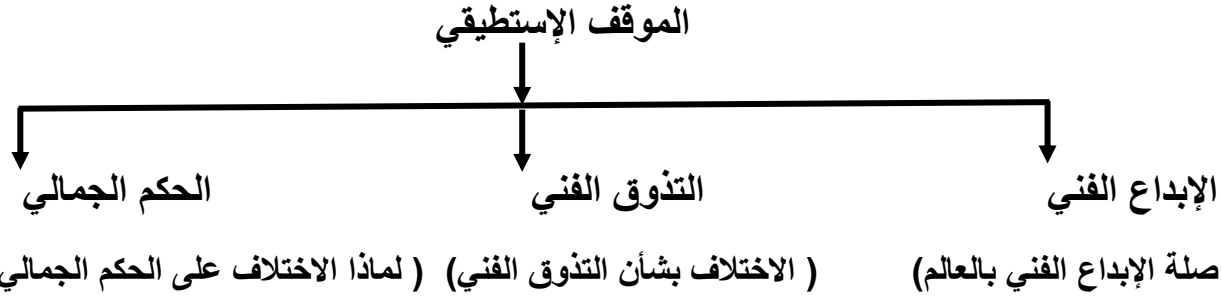

02- صلة النشاط الفني بالرؤية إلى العالم:

برز مصطلح **رؤية العالم**(**Weltanschauung**) في الفلسفة الألمانية، للدلالة على الطريقة التي يمكن من خلالها الإحساس وفهم العالم، وبعبارة أخرى يمكن تحديد ما يعنيه هذا المصطلح في كونه يقدم تلك الصورة التي تكون عندنا مواقف و تصورات انتقلت إلينا جراء معتقد ديني أو نمط سلوكي اجتماعي أو ثقافي، تكون في النهاية موقفا من الحياة والكون.

ومصطلح **رؤية العالم** ينتمي إلى حقل فلسفة العلوم، بحيث تشكل معناه في خضم الصراع على أدوات المعرفة في سياق المعرفة الغربية، بحيث كان لامتدادات المنهج الوضعي في سائر العلوم بما فيها العلوم الإنسانية و الاجتماعية، من أهم الأسباب التي دعت إلى ضرورة الاستعانة به، لفهم العالم بصورة كلية، بحيث أدى تغييب هذا المفهوم في السياق الثقافي الغربي إلى المساس بصورة الإنسان و كذا المساس أيضا بالفطرة الكونية.

ويُعزي كثير من المؤرخين أول ظهور لهذا المصطلح إلى **دلتاي** حين أصر على ضرورة التمييز بين العلم الطبيعي و العلم الإنساني، في سياق الدعوة إلى تأسيس براديغم جديد يُعنى بالبحث في العلم الإنساني؛ ذلك أنه أصبح من المناسب استدعاء **الرؤية إلى العالم** لبحث الأساس الذي تستند إليه الظاهرة الإنسانية، ثم لأن **الرؤية إلى العالم** و كذا العلم الإنساني يشتركان في سؤال المعنى، وهو عين السؤال

الذي تم استبعاده من نطاق براديغم العلم الطبيعي، في سياق الغزو العقلي للطبيعة الذي بشرت به أدبيات الحداثة مع **ديكارت**.

و استنادا إلى ما سبق، فإن الصّلة بين النشاط الفني و **الرؤية إلى العالم** تبدو وشيجة؛ ذلك أن النشاط الفني ظاهرة إنسانية معقدة، تشترك فيها جميع عناصر الوجود، فالإنسان ظاهرة ميتافيزيقية بالأساس، وعليه فإن **الرؤية إلى العالم** تكون أداة إجرائية لقراءة عدد من الأعمال الفنية، من حيث اشتمالها على تضمينات عليا ومعان تسكن روح العالم، و في هذا الصدد يمكن استدعاء المنظور الفيثاغوري في تفسيرة لأصل الوجود القائم على فكرة التناسق و التناغم العددي.

هذا، و تزداد صلة النشاط الفني بالرؤية إلى العالم أكثر، حينما يتوسل النقد الجمالي بخاصية التفسير التي تحوزها **الرؤية إلى العالم**، الأمر الذي يسعف في عملية الإطلاع الإستطيقي على التجربة الجمالية، على اعتبار أن هناك عناصر مبهجة و جميلة تستبطنها الذات، يصعب تفسيرها وفقا لشروط المنهج العلمي.

03- الفن و الدين:

لا يمكن إغفال الصلة بين الفن و الدين؛ إذ غالبا ما يتم التعبير عن الإيمان الديني عن طريق الفن، ولنا في الحضارات القديمة خير مثال على ذلك، بحيث حفظ لنا الفن طقوس و ممارسات دينية و نقل إلينا عقائد بائدة، فضلا عن أن الأنتروبولوجيا الدينية في الغالب تستعين بالفن لدراسة أشكال التعبد و الرؤى الدينية السائدة لدى الأقوام و الشعوب.

هذا، ويمكن في هذا الإطار استحضار بعض ألوان التجربة الصوفية التي تستعين بالفن لتبليغ المقصود، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر شكل اللباس وكذا بعض الأحوال و المقامات التي تتسم بالطابع الفني، تشكل في مجموعها سمات عامة تعبر عن مضمون التجربة الصوفية ومعاناة السالك، و لنا في الفلسفة الصوفية لمحي الدين بن عربي و ابن سبعين خير دليل على ذلك.

أما إذا انتقلنا إلى ميدان العمارة الدينية، فسنقف بجلاء على تعاليم دينية كثيرة مُعبرا عنها في أنماط الأبنية و المعالم الدينية، تحمل دلالات عديدة و قيم دينية، و كم حرصت الديانات السماوية على ضرورة الإستعانة بالتذوق الفني للدين.

فعملية استقراء التاريخ البشري تدل على أن الفنون كانت خادمة للأديان، يشكلان وحدة عضوية، على اعتبار أن إلباس الدين ثوب الفن كان يضفي على الحقيقة الدينية طابعا جماليا بديعا.

04- الفن و العلم:

شكلت العلاقة بين الدين و العلم السمة البارزة للحضارة المعاصرة، خصوصا حينما أضحت التقنية متصلة بجميع نشاطات المجتمع الإنساني، لهذا ترى أن التقنية المعاصرة تعتمد بشكل كبير على الفن وقد أفضى ذلك الاعتماد في الحقيقة إلى سلب حقيقة الفن من جهه كما جرّ إلى اغتراب الانسان عن ذاته و محيطه الاجتماعي و الثقافي من جهة أخرى.

فغائية الدين تتضح بشكل جلي من خلال الفنون، حيث تعبر بصور عديدة عن صلة الانسان بالإله و الكون.

05- وظيفة الفن:

للفن وظائف عديدة و متنوعة، فالفن والثقافة صنوان، والفنون حافظة للتراث الثقافي للأمم وحاملة للسمات الثقافية للشعوب والمجتمعات، وللفن كذلك وظيفة اجتماعية، فعادة ما يحفظ ثقافة المجتمع وهويته؛ بحيث إن كثيرا من العادات والممسارات الاجتماعية تتخذ أشكالا فنية، فضلا علن أن الفن كذلك يسهم في عملية الضبط الاجتماعي عن طريق التعبير بالفن عن شتى أنواع السلوك الاجتماعي، وكم سعى الفكر السوسيولوجي إلى ترميم الظواهر الاجتماعية عن طريق التقعيد لعلم الاجتماع الجمالي، ففي العادة ما يكون أفراد المجتمع الأنومي فاقدون للوعي الجمالي.

هذا، وقد سعت طرائق التدريس المعاصرة إلى إدخال العناصر الجمالية في العملية التعليمية بقصد تجويد الأداء التعليمي، من استعمال للألون و كذا منح بيئة التعليم الصبغة الجمالية، ذلك أن النظرية البنائية أكدت على أن عملية التعلم يجب أن تتم بطريقة جمالية.

وتتعدد وظائف الفن لتشمل ميدان البيئة كذلك، بحيث تستأنس التقنية المعاصرة بالفن في إظهار ضرورة الحفاظ على النطاق البيئي، وأصبح الإنتاج الصناعي يرافق هذا الوعي من خلال رموز وآليات تحد من إفساد البيئة وكذا إلحاق الضرر بها.

ومع أن الذات الإنسانية ذات مبدعة فليس ثمة بيئة حاضنة لهذا الإبداع سوى الفن، حيث يتيح ممكنات متعددة للتعبير عن مختلف طموحات الإنسان ودوافعه.

06- النقد الفني:

رافق النقد الفني نشأة الفنون لهذا اعتبره البعض جزءا من تاريخ الفن ذاته، والنقد الفني ينهض بمهمة وصف و تحليل و تفسير وكذا تقييم الأعمال الفنية تبعا لما يتبعه من نظريات جمالية، لهذا يعد النقد الفني عاملا من عوامل تجسير العلاقة بين الأعمال الفنية والجمهور، كما يساعد أيضا على فهم وتقدير الأعمال الفنية.

ولما كان الناقد الفني ملما بتاريخ الفنون والنظريات الجمالية فهو يضطلع بمهمة الكشف عما لا ينتبه إليه الجمهور، إلا أن عملية النقد هنا لا تعني بالضرورة إظهار العيوب بقدر ما تساعد على فهم أبعاد العمل الفني.

- المراجع:

1- إ.نوكس، **النظريات الجمالية**، تعريب: محمد شفيق شيا، منشورات بجسون الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

2- أميرة حلمي مطر، **فلسفة الجمال، أعلامها و مذاهبها**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د – ط، 1998م.

3- جوردون جراهام، فلسفة الفم، مدخل إلى علم الجمال، ترجمة: محمد يونس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.

4- سانتيانا، **الإحساس بالجمال**، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د – ط، د – ت.

5- ستيس، ولتر، **معنى الجمال**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، مصر، د – ط، د – ت.

6- غادة المقدم عدرة، **فلسفة النظريات الجمالية**، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1996م.